لَفظة الهَدْم
وما حُمِلَ عليها في تعبير القرآن الكريم

الباحث :علاء عويد برهان

أ. د. فاخر هاشم الياسري

جامعة البصرة – كليَّة التَّربية للعلوم الإنسانيَّة – قسم اللغة العربية

ملخص البحث :

إنَّ استعمال التعبير القر اني للفظة الهدم و ما حُمِّل عليها كان في سياق الحديث عن العذاب و الانتقام لأولئك المخالفين لأوامر الله سبحانه و تعالى فجاء استعمال اللفظ بصورتيه الصريحة وغير الصريحة الدالتين على مفهوم الهدم ليكشف الجانبيّن المادي و المعنوي وابراز الصورة التدميرية ، وهو ما يقف عليه في هذا البحث. وقد اعتمدت الدراسة في هذا البحث على عدد من كتب التفاسير ولعلَ من أهمّها الكشّاف للزمخشري ،والتحرير والتنوير لابن عاشور ،وتفسير أبي السعود ،زيادة على ذلك الاستعانة بكتب اللغة و المعاجم اللغوية، والحمد لله رب العالمين.

الكلمات المفتاحية : الهدم ،التدمير ،القران الكريم.

The Expression of "Hadam" and its Synonyms in Quran

Researcher:Alaa Oaid Burhan
Prof.Dr. Fakhir Hashim Al Yassiry
Dept. of Arabic language , College of Education for Human Sciences,
University of Basra

Abstract:

The use of Qurnic expression, "Hadam" and its related synonyms, in the course of discourse is a reference to the revenge and martyrdom against those who disobey the rules of God. Thus such range of expressions are used explicitly and implicitly as a means to expose the concrete and abstract aspects that this research is focusing on.

Key words : Hadam, Destruction, Quran.

لفظة الهدم ومسلكها التعبيري في القرآن الكريم

تتميز أساليب الخطاب القرآني بمجموعة من السمات الجمالية وذلك لما تتضمنه من تناسق لغوي قائم على التأليف الدقيق بين اللفظ والمعنى المتمثل بالصيغ الخبرية والإنشائية بوساطة تلاؤم ألفاظ التراكيب ومعانيها، فتكون مؤثرة في السامع أو المتلقي وتجعله متفاعلاً مع النص تفاعلاً تاماً.

تظهر الدقة القرآنية بوساطة العلاقة بين اللفظ والمعنى والتراكيب، إذ إن اللفظة تصلح في موضع ما دون غيره وقد تدل على معانٍ مشتركة في مواضع أخرى بحسب السياق الذي ترد فيه اللفظة والقرائن اللغوية و من هذه الالفاظ لفظة الهدم التي سنقف عندها مبيَنين مسلكها في القران الكريم .

- الهَدْم:

الهَـدْمُ: هو حطّ البناء وإسقاطه، وهدمت الحائط أهدمه، أسقطه من إقامته، والهدم هو التدافع، فالدفعة من المطر كأنها تتهدّم في اندفاعها[١]. والهدم بتضعيف عين اللفظ يكون لما فيه من التكثير **(هُـدّمَتْ)**، فهدّمت البناء، هو ما يكون على نحو التكثير والمبالغة في الهدم[٢].

والهدم يكون نقيضاً لكل بناء، مادياً أو معنوياً[٣].

الأصل الواحد في مادة **(هدم)** هو نقض وإسقاط مطلق لما يبنى بأي طريق كان وبأية كيفية حصل، وهذا يكون باختلاف الموضوعات التي جاءت عليها سواء أكانت من بناء أم غيره،، والذي يسهم في تحديد معالم ذلك الأمر هي الصيغة التي تأتي فيها اللفظة، ولفظة التهديم تحمل سمة بارزة في بيان الشدّة والمبالغة[٤].

جاء المسلك التعبيري لفعل الهدم والخراب **(هدّم)** في الاستعمال القرآني مرّة واحدة، وفي هذا الموضع حملت دلالة الإسقاط والخراب التي تظهر ملمح الدمار الكلي الذي لم يبقَ لشيء قائم إن تحقق ذلك الأمر. وهذا اللفظ ورد في القول القرآني ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا **[الحج/٤٠]**.

إنّ الدلالة التعبيرية لفعل **(الهدم)** قد اتفقت مع الدلالة المركزية، في اللفظة التي حملت معنى التهديم والخراب وهذا ما أفصح عنه المسلك التعبيري لدلالة الفعل **(هدّمت)** في التعبير القرآني أو عبّرت عن معنى شامل لتقويض البناء وإسقاطه[٥].

فالتعبير بصيغة (فعّل) في المسلك القرآني جاء محاكياً ذلك الحدث الصادر من هؤلاء المشركين الذين يبالغون في أمرهم المعادي للإسلام، فالتضعيف أضفى ملمحاً في الشدّة والمبالغة في الأمر.

وهذا التشديد يدل على تكرار الهدم مرةً بعد أخرى. فالقول القرآني (لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ) يتسق مع السياق الدلالي في جميع دور العبادة وعملية التهديم. وهذا الفعل (**هدّمت**) لما يحمله من معنى السقوط الذي يجلب معه التمزق والانشقاق المؤدي إلى الإزالة وقد انتسب إلى أفعال أهل الكفر لما فيه التخريب(٦).

إذ أكسب النص المقدّس هذا اللفظ دلالة واضحة تكشف عن فظاعة الأمر وفداحته، فجاء السياق القرآني باللفظ الصريح ((وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ)) اذ يعطي صورة متناهية للحدث الهدمي يدركها متلقي النص الشريف لكونها حالة يألفها ويراها، إذ الهدم في معظم صوره أمر محسوس ظاهر للعيان، مما يجعلها تترك انطباعاً في نفسه فتكون مؤثرة فيه.

وقد سبقت اللفظ الهدمي أن تتصدر الآية المباركة الأداة (لولا) إذ ناسبت بدلالتها الامتناع في الهدم لوجود دفع الله ولطفه وعنايته، وهذا بدوره يوجه مسلك التعبير القرآني في توجيه المعنى البلاغي المقصود؛ فالمصدر (دفع) في الآية ((ولولا دفع الله الناس)) ودلالة الثبوت فيه، يكشف حقيقة المقابلة بين الحق والباطل، إذ الدفع جيء به بالصيغة الاسمية المتصفة بالقوة والثبات لعودتها على الله تعالى، في حين مجيء الهدم بالصيغة الفعلية، المتسمة بالتجدد والتغيير، وهذا يضفي مفهوم قوة الحق وديمومته قبال الباطل في ضعفه ووهنه، فكان لهذا الاستعمال الأثر البالغ في تقابل قوة الهدم المتمثلة باللفظ، بقوة أخرى يكون مصدرها الذات الإلهية لتكون الغلبة للذات المقدسة.

إذ إن المشركين والمخالفين لو لم يكن هناك دافع يدفع نفوذهم وسطوتهم لكان حال المسلمين محكومين تحت سلطتهم، وأهل الحق من الضعفاء مقهورين تحت نفوذهم، فهدمت دور العبادة(٧).

والمعنى الأساس ليس اصطلاحاً وإنما المعنى السلبي الذي دُفِعَ بلطف الله وعنايته بالناس وأماكن العبادة، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾.

فالهدم بمفهومه المحسوس يحتاج إلى وسيط يكون قائماً على آلية الهدم من جهة الحدث الهدمي مضافاً إلى الآلة وأحياناً يكون الأمر الهدمي يحمل معنى القدم والشيء الذي شارف على السقوط مثلما ورد في السياق القرآني في دلالة الانقضاض قال تعالى: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ﴾ [الكهف/٧٧]. فالجدار بنية هامدة لا تحسّ، إلا أنّه في التعبير القرآني يحسّ ويريد السقوط(٨). فكان لذلك إسناد الدفاع إلى الخالق وهو إسناد مجازي عقلي لأنه أعطى الإذن للناس بأن يدفعوا عن أماكن عبادتهم، فكان ذلك الدفع سببه الإذن(٩).

التعبير بلفظة (**هُدّمت**) في السياق القرآني بصيغة البناء للمجهول يوحي بالوقوع الحاصل في زمن مجهول ومكان مجهول أيضاً، على حين إنها تُقابل بلفظ يدلُّ على الحدث الثابت المجرّد من الزمن (دفع)، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ﴾.

فالآية القرآنية تشير إلى حجم الصراع والتدافع ما بين الحق والباطل وغلبة الباطل.

المتأمل في التعبير القرآني يلحظ اللفظة (**هُدّمت**) و صيغتها المبنية للمجهول تميزت بقيمة دلالية في التعبير القرآني لم تنفك عن الدلالة الإيحائية التي جاءت مصاحبة لفداحة الأمر، فاللفظة (**هُدّمت**) تبنى في هدم شامل لا جزئي، إذ يتصف بملمح حركي يتميز بالاتساع وبالانتشار الذي يغمر كل شيء، وحمل اللفظ القوة ليتسق بذلك مع جرأة هؤلاء في الهدم، فكان الرد الإلهي متمثلاً بالدفع الذي جعله بين الناس وهذا ما منح النص وضوحاً من خلال التقديم لهذه المعادلة بين الدفع والهدم.

إن التشكيل الصوتي المتمثل بتلاحق الأصوات المدية في السياق القرآني ((لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد))، التي عبّر فيها صوت الألف سواء أكان قصيراً أم طويلاً، عن إيضاح ذلك الاتساع والانتشار، فصوت الألف من الأصوات التي يكون لها مد سمعي عالٍ يفصح عن ارتفاع هذه الأماكن وعلو شأنها وارتباطها بقضية التوحيد، فتكون رفعة شأنها لعظمة الذات الإلهية، فهي تكشف عن أزلية هذه الأماكن واستمرار الحياة العبادية فيها.

فالقضية هي عبر الصراع المستمر، وتدافع الناس مع بعضهم، بأن يكون بعضهم من أهل الحق، والآخر يكون الطرف الآخر، لأن الشر متمثل بشخوص ليكونوا الأداة لذلك الشر.

صيغة (هُدّمت) المبنية للمجهول ودلالتها:

يُعد أسلوب البناء للمجهول أحد الأساليب المهمّة التي تضفي زيادة ومرونة التخييل وانفتاح صوره وأشكاله، بما يمكن أن تتخيل به صوراً عديدة وحركات متنوعة للصورة نفسها كلما تعددت قراءتها في التعبير القرآني. وهذا يظهر عبر مجالات وأبعاد قُصِدَ تركها للخيال ليصوغ ويرسم ما يشاء من أشكال وألوان وأصوات وحركات داخل الصورة، و يرسمها كل بحسب ثقافته وزمانه وقوّة مخيلته(١٠).

للتعبير القرآني سمات جمالية في اختيار المناسبة للحدث المقصود، إذ يسعى النص القرآني في انتقاء أسلوب على أسلوب آخر، والتعبير بأسلوب البناء للمجهول ورد كثيراً في القرآن الكريم، وفي كل موطن يكون له الدلالة والقصدية من وراء ذلك الانتقاء.

فقد كَثُرَ في التعبير القرآني أسلوب البناء للمجهول، فهو يُعد ظاهرة مطّردة في النص القرآني تكون لها أغراضها المتعددة وعليه فلا يمكن تحديد أغراض هذا الأسلوب التعبيري، فالأغراض ليست تقعيداً منطقياً،

وإنما هي مواقف تُدرك من الموقف كله، إذ تظهر هناك أغراض أعمق وأدق من تلك التي ذكرها النحويون وأصحاب المعاني ويكون الكشف عنها داخل النسق التركيبي والهيأة الخاصة به(١١). فكان ورود فعل الخراب (**هُدمت**) في الاستعمال القرآني بأسلوب الفعل الذي لم يسم فاعله الذي يكون مرتبطاً بدلالة اتساع مفهوم الهدم الحاصل، إذ يكون للخيال الفضاء الواسع في إيضاح مدى الهدم وذلك ما جاء في القول القرآني ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾.

جاءت صيغة المبني للمجهول في فعل الهدم (**هُدّمت**) مناسبة للحال الذي كانت عليه الدعوة للتوحيد، إذ لم تتقيد بزمن دون غيره إذ صح إيقاع الهدم عليها نظراً إلى قراءتها، ولولا دفع الله لهدم في شرع كل نبي المكان المعهود لهم في العبادة، فهدم في زمن موسى الكنائس، وفي زمن عيسى الصوامع والبيع، وفي زمن النبي محمد ﷺ المساجد وعلى هذا الأمر إنما دفع عنهم حين كانوا على الحق قبل التحريف والنسخ(١٢)، أو بتسليط المؤمنين منهم على الكافرين لخرّبت باستيلاء المشركين على أهل الملل(١٣).

أفادت صيغة الفعل المبني للمجهول (**هُـدّمت**) معنى إضافياً لمعنى الخراب والهدم، إذ جاءت لتؤدي دلالة وإن كانت الأرض كلُها مسجداً وطهوراً لرسول الله ﷺ إن صح فيه أن يصلي، إلاّ أنّه جعل بعض مساحة الأرض حكراً للمساجد ومحددة للصلوات فجاءت دلالة (**هُدمت**) لتؤدي معنى الحكر(١٤).

ثم أن تحويل صيغة المبني للمعلوم إلى فعل مبني للمجهول يؤدي إلى إبدال الفتحة التي لها سمة الانشراح (الخفة) إلى الضمة التي لها سمة الثقل والشدة والقوة والضعف إثر انكسار الشفة وتقلص وشد عضلاتها و شدها وضمها والقوة التي تتطلبها عند نطقها: تواءم صوتياً مع شدّة ذلك الهدم وقوته التأثيرية سواء أكان مادياً أم معنوياً.

إذ إنّ الضمة أقوى من الفتحة وتدل على الضيق لتحاكي بذلك الضيق الذي يلقاه العصاة ومن سعى إلى تهديم أماكن عبادة التوحيد في نار جهنم(١٥).

اتسقت دلالة التضعيف مع فعل الخراب (**هدّم**) سمة التكرار في الحدث واستمراره لأزمان متعاقبة، وهذا كان يتساوق مع صيغة البناء للمجهول الذي يتصف بسمة العموم والإتساع، ويكون التكثير حاضراً في هدم التوحيد في قلوب أهل الملل، وهو على سبيل التكثير، وقد أفادت (اللام) دلالة تعبيرية في إظهار معنى الهدم المباشر وحصوله من دون تباطؤ، فالمشهد يتراءى، أمام العين بصوته المدوي.

فكان وجه التقويم مواضع عبادات أهل الملل فيه ملمح بلاغي لكونها أسبق وجوداً من مواضع عبادة المسلمين وأقدم بناءً وهذا يكشف الهدم بمعناه الحقيقي لا المجازي، أو تعطيلها من العبادة وكلا الوجهين هدم وتخريب لدور العبادة(١٦).

الألفاظ المحمولة على الهدم في التعبير القرآني

يتسم النص القرآني بفيض من الدلائل القصدية والسمات التعبيرية التي تسعى إلى توظيف الألفاظ توظيفاً فنياً يتناسب مع ما توحي إليه الحادثة ومناسبة المقام ليؤدي ذلك التوظيف الجمالي اثراً مميزاً في إظهار المعاني المقصودة، إذ إن القرآن الكريم حينما يسمو في استعمال الكلمة في التعبير راجياً من ذلك الاستعمال معنى محدداً دون غيره، وهذا التأنق لا يوجد إلا في النص المقدس، إذ يسعى في اختيار الألفاظ الخفيفة على السمع، السهلة في النطق، الموحية للمعنى المكثف، فيكون إيثار لفظة على مرادفها مقصوداً في إبراز أدق الفروق في المعنى، فيكون للفظ كيان مستقل يملك معنى لا يستطيع إظهاره لفظ آخر يحل مكان ذلك اللفظ، سواء أكانت تلك الألفاظ صريحة أم غير صريحة.

هناك ألفاظ حُملت على معنى الهدم سنقف عندها دارسين ومحللين فتكون دراسة هذا المبحث في مدار ما حُمل على لفظ الهدم، في جلاء المعنى وإشراق الدلالة الموحية بالجمالية، المتضمنة الدقة والفنية في الاختيار، فالكلمات في القرآن تحمل دلالة تختص بالسياق وملاءمته للوظيفة المحدّدة في النص التي لا يمكن أن تؤدي لفظة أخرى هذه الوظيفة، فجاءت هذه الألفاظ في القرآن تمثل غاية الدقة في دلالتها على المعنى، وبما أن مجيء هذه الألفاظ لم تختلف عن سائر الألفاظ التي يكون مدى تأثيرها في السياق الذي يمثّل الأداة في توجيه المعنى والدلالة، إذ في هذا الموضع كان مدار البحث في جزء من مجموعة الألفاظ التي تتضمن معنى الهدم ودلالتها الهدمية.

عبّر توظيف بنية اللفظة التي تسمو في فضاء الدلالة الإيحائية ليتسع أفق التخييل الدلالي. ومن ذلك نورد بعضاً من تلك الألفاظ:

١. دَمّرَ:

التدمير: الهلاك والاستئصال. دمّر: الدخول في البيت وغيره، يقال للرجل إذا دخل بيته دمره، والدمار: الهلاك[١٧]. والدمار: الهجوم، ودمرت على القوم هجمت عليهم من دون استئذان[١٨]. ويقال: دمّرهم دماراً أي أهلكهم بالاستئصال وهاجمهم هجوم الشر[١٩].

ورد فعل الدمار **(دمّر)** في التعبير القرآني في مواضع عشرة يتضمن معنى الإهلاك والاستئصال وفيه ما جاء ليوضح حجم ذلك التهديم، ومن ذلك ما ذكره القول القرآني: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ **[الإسراء/١٦].**

اللفظ (**دمّر**) في النص المقدس له دلالة واضحة في بيان مدى التدمير الذي حلّ بتلك القرية، إذ إن دلالة الفعل (دمّر) لم تختلف في السياق القرآني عن دلالتها المعجمية، إلاّ عبر اتساع الدلالة وتناسق الفعل للحدث الهدمي الذي أكسبه النص دلالة بارزة، إذ الدلالة الإيحائية تسلّط الضوء على القوّة والغلبة على نحو القهر في عقاب الفاسقين باستئصالهم وزوالهم.

جاءت الآية المباركة بياناً لكيفية وقوع الأمر التعذيبي بعد إرسال الرسل التي جعلت غاية لذلك، فكان توظيف الصيغة الصرفية للفظة الدمار، والتي جاءت بصيغة (فعّل) لتحاكي شدّة العقوبة التدميرية وتكرارها، فكل زيادة في المبنى غالباً هي زيادة في المعنى، فيوحي تكرار عين الفعل عن حجم الدمار النازل عليهم وسطوته، وهذا الأمر جاء على وجه التدمير الشامل لا الجزئي، فهي عقوبة مباشرة يراد بها الهدم والإزالة والاستئصال، إذ تهدّم كل شيء. ولعلّ في إطباق الشفة عند النطق بصوت الميم يوحي بإطباق العذاب عليهم فلا مهرب ولا نجاة وإنما المصير شمول العذاب بالهلاك والزوال إذ لا يغادر منهم أحداً. وهذا يظهر صفة الهجوم الذي جاء به الأمر الهدمي، ويعضد تلك الدلالة مجيء صوت (الراء) في اللفظة والذي يضفي ملمحاً لتكرار الدمار وإطباقه، فهو صوت انفجاري يظهر ذلك الدوي الصاخب الذي يهز الأسماع. إذ كان إهلاك القرية بعد قيام الحجة عليهم فكان الأمر للمتنعمين؛ لأنهم في ذلك أسرع إلى الحماقة وأقدر على الفساد فيكون غيرهم تبعاً لهم[٢٠]، فالوقوع حاصل عبر توظيف صيغة الماضي، والتعبير بصيغة الماضي توحي بدلالة نزول العذاب وتحقيقه، أي إنزاله بمنزلة الواقع لا محالة.

زيادة على ذلك اسناد الفعل (**دمّر**)الى الضمير (نا) وهذا يظهر ملمح القدرة والإرادة الإلهية لإهلاك القرية[٢١]، وتعلّق الأمر الهدمي مرتبطاً بسبب الإهلاك وهو الترف الذي سبب الدمار المصاحب للإفناء والزوال[٢٢].

اذن التدمير هو الإزالة وطمس الأثر مع هدم البناء[٢٣]، وهذه الإزالة تظهر صورة متناهية للتخريب الشديد، إذ جاء استعمال القرآن الكريم لهذا اللفظ في موضع بيان شدّة الهلاك الذي حلّ بالأمم السالفة[٢٤]، الذي لم يكن فيه تباطؤ وتأخير، فقد أفصحت (فاء) العطف عن سرعة حدوث الهلاك، إذ كان لورود حرف العطف (الفاء) تكراراً في الآية المباركة ليحاكي ذلك الإيقاع الصاخب لمجموعة من الأصوات التي اتسمت بالسرعة والاستجابة فالقول القرآني (ففسقوا فيها فحق عليهم القول فدمرناها تدميراً) يكشف حالة وقوع الدمار بعد استجابتهم بالفسق. ومعنى (أمرنا) أي سلّطنا مترفيها بالإمارة، فتمردوا في كفرهم فحق عليها القول[٢٥]، بنزول الدمار، وهذا يعطي دلالة المباغتة والهجوم السريع.

يلحظ في حرف الاستعلاء (على) دلالة واضحة يظهر بيان قوة الدمار النازل من الأعلى[٢٦]. إذ يكون التدمير شاملاً مستأصلاً لا يبقى بعده شيء، وهذا نتيجة ما اقترفوه من أفعال وخروجهم عن النظم الحياتية ليقلب عاليها سافلها[٢٧].

وهنا يظهر امتزاج الدلالة المادية المتمثلة بالهدم الظاهر، مع الدلالة المعنوية لمفهوم الصراع العقدي في مسالة الثبات الديني. إن مجيء المصدر المؤكد (تدميراً) أضفى دلالة بارزة في بيان قوة الدمار وتحققه، إذ جاء هذا المصدر لتوكيد الفعل وإثباته، فيكون ذلك أثره في النفس. وجيء بالفعل المتعدي للمفعول المطلق ليكون أثر هذا الفعل في النفس متيسراً لكل آفاق التصوّر لهذا الدمار، فيكون لهذا التناسق دلالة متكاملة في اتساق بلاغي يهز المشاعر لإدراك قدرة الذات الإلهية[٢٨].

جاءت هذه الآية متممة للآية السابقة عليها ((وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا))، أي أن العذاب لم يصح وقوعه في الدنيا إلا حين إرسال الرسول[٢٩]. فالعقاب جاء ضمن العذاب الدنيوي وكان أداة ذلك العقاب هم المترفون من أهل القرية. فيظهر أن التدمير نحو خاص من البلاء وهو أشدّ من الإهلاك وإن كان الغالب فيه هو الانتهاء إليه، وهذا المعنى من لطف التعبير في المادة[٣٠]. إذ يربط القرآن الكريم في هذا السياق بين الإسراف وهلاك القرى ولكن بما أمر الله المترفين، فالله أمر الناس بالهدى والخير والتقوى ولكن حين يكفرون بأنعم الله يحل عليهم العذاب والآية تكشف مسألة مهمة من إرساله الأنبياء إلى القرى الظالمة لكي يرتدعوا[٣١].

دَكَّ:

الدك: كسر الحائط والجبل. دك الشيء يدكّه دكّاً: خرّبه وكسره حتى سوّاه بالأرض: وهو ما استوى من الرمل[٣٢].

والدك: الأرض اللينة السهلة[٣٣]. وهو ما يدلّ على تطامن وانسطاح وهي الأرض العريضة المستوية[٣٤]. فدلالة الدك تتمحور في الهدم والكسر والخراب[٣٥].

وردت لقطة (**الدكّ**) في الاستعمال القرآني في أربعة مواضع، وهذه اللفظة لما تحمله من معنى الحركة لم تخرج عن دلالتها في كتب المعاجم مما هي عليه في الاستعمال القرآني وخاصة لما كان حاملاً في الانبساط والتسوية، وذلك ما جاء في القول القرآني: قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ۞ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ۞ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ **[الحاقة/١٣-١٥].**

إنّ لفظ (**الدّك**) جاء في سياق يحاكي حدث الانبساط الذي لم يكن فيه عوج ولا أمت، أي جُعلت مستوية لا أكمة فيها ولا جبل كقوله تعالى ﴿ لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴾ [طه/١٠٧]، أي جعلت بمنزلة أرض سهلة لينة بعد أن كانت ذات جبال وآكام، فالسياق يظهر حالة صعود الأرض والانحدار المصاحب للهبوط مع ما تحمله من الجبال وما عليها ومن ثم استقرار تلك الأرض بأن أصبحت مستوية، والآية توضح قطعية انبساط الأرض واستوائها وتجردها من كل ارتفاع وانخفاض[٣٦].

صيغة الفعل الماضي المبني للمجهول جاءت محاكية للحدث إذ توحي بدلالة الوقوع الحتمي لا المجازي، وأن الدك أمرٌ حاصلٌ محسوس زيادة على ذلك بناء اللفظ المبني للمجهول أفاد في اتساع أفق دلالة التخييل لهذا الدك وهوله، فالأرض رفعت من جميع جهاتها بريح قوية وحُمِلَتْ الجبال معها، فضربت بعضها حتى رجعت كثيباً مهيلاً، وهذا الأمر العظيم يعود لعظمة الفاعل[٣٧]، فالأصل الواحد في هذه المادة هو الهدم والقرع بحيث يجعله مستوياً ويزيل صورة وجوده وتشخصه[٣٨]. فمفاهيم الهدم والانكسار والتخريب والحطم جاءت ملائمة مع الهدف المطلوب من جعلها مستوية ومنبسطة، وتأكيد ذلك ذكر الدكة الواحدة والتي يراد منها هدمها وحطمها معاً. فإن لطف التعبير يدل على أن الاندكاك أشد من الانكسار، والضرب والإسقاط. إذ يقع لفظ (**الدك**) بدلالة الحركية في مجال الحركات رأسية الاتجاه إذ يكون الدك من الأعلى إلى الأسفل[٣٩]. فهو يحاكي الأحداث المتصفة بالحركة الوضعية القوية، إذ تدور دلالته في المعجمات حول معنى الهدم والملاحظ أشار إليه أن اللفظ قد حافظ على دلالته المعجمية التي تعني الجانب الحسي الحركي للحدث، فكان إتصاف هذا اللفظ بملامح الحركة والقوّة الوضعية[٤٠]. ولعل العدول في التعبير القرآني عن استعمال ألفاظ مثل هدم، وانكسر وانبسط، واستعمل (**دك**) يوحي بإيحائية على هدم الأرض وتحطيمها إذ انّ في الصوتين (الدال، والكاف) إشارة إلى تلك الإيحائية، لما يتصف بهما الصوتان من الشدّة، فصوت الدال مقلقل، والصوت المقلقل محصور في موضعه فيسمع عند الوقت نبرة تتبعه.

واللطيف في التعبير القرآني في لفظة (**دكة**) وهي تحاكي الحدث الهدمي بمرة واحدة لتلتقي مع الأمر الإلهي (نفخة واحدة) وكأن الحدث الهدمي هو نتيجة لاستجابة الأرض والجبال في الخراب والزوال لأمر السماء على نحو الطواعية في امتثال الأمر الإلهي للايذن بخراب الأرض، أضف إلى ذلك تخصيص الجبال في التعبير القرآني مع العلم هي جزء من الأرض وزوال الأرض وخرابها قد يلحق الجبال بعدها جزءاً منها، إلا أنّ التعبير القرآني يفصل الجبال عن الأرض في الخطاب ليجعل منها ملحظين في الخطاب ((الأرض والجبال فدكتا))، وفصل الجبال عن الأرض بالعطف يوحي بعظمتها التي عدت آية من آيات الله ومثال حسّي شاخص يمكن عبر استشعار دلالة (الدك) بالهدم والتفتيت الذي سيجعل منها كالعهن المنفوش في آية أخرى، ويا له من منظر مهول يبعث في النفس الخوف والرهبة لما سيحصل عند الصيحة.

خَرّبَ:

الخراب ضد العمران، والجمع أخربة، والخربة: موضع الخراب، والجمع خربات، والتخريب: الهدم، والمراد به ما يُخرّب الملوك من العمران وتعمره من الخراب شهوة لا إصلاحاً، ويدخل فيه ما يعمل المترفون من تخريب الأماكن العامرة لغير ضرورة وإنشاء عمارتها، وأخربوا البلاد وخرّبوها[٤١]. والخاء

والراء أصل واحد يدل على التثلّم والتشقق، والخربة: الثقبة[٤٢]. وخرّبوا بيوتهم، شُدّد للمبالغة، ومن قرأ يخربون بالتخفيف: فمعناه يخرجون منها ويذكرونها، وبالتشديد: يهدمونها[٤٣].

اتفقت دلالة فعل الهدم **(خرّب)** في الاستعمال القرآني مع الدلالة المعجمية، إلاّ أنها حملت معنى إضافياً وهو الهدم والنقض، فالتخريب والإخراب جاء لمعنى الإفساد بالنقض والهدم[٤٤]. وذلك ما جاء في التعبير القرآني: قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ **[الحشر/٢]**.

الفعل **(يخرّبون)** ورد في القرآن الكريم مرة واحدة بصيغة (يفعّل) إذ أريد المبالغة في التهديم، وصيغة الفعل تحاكي حال أولئك الذين سعت ايديهم إلى الهدم، لما فيها من المطاوعة والاستمرار في فعلهم عبر توظيف الصيغة المضارعة لتصف حالة الانقياد التي كان عليه هؤلاء النفر الذين وافقوا المؤمنين في تخريب بيوتهم فأتاهم العذاب جرّاء فعلتهم، إذ الذي دعاهم إلى ذلك الأمر هو أن لا يسكنها من بعدهم المسلمون[٤٥].

يظهر أن صيغة الفعل **(خرّب)** تبرز ملمحاً دلالياً في التركيز على الحدث، وهو التخريب، فتقديم الفاعل أكسب الفعل التخريبي تخصيصاً دلالياً لقوة التخريب وتكراره، زيادة على ذلك تعزيز ذلك الحدث الهدمي يذكر وسيلة الخراب وهي الأيدي لتحاكي مباشرة الحدث من دون تأني أو انتظار، وهذا يظهر أنهم كانوا قاصدين هذا العمل، لا من حيث انهم قد توجه لهم أمر الهدم، بل إن القصديّة واضحة، ودلالة ذلك مجيء حرف الاستعانة (الباء) الذي عزّز عمل الفعل بعده قيمةً بارزة تفيد معنى التخلص من تلك المساكن. فالتخريب فيه نقض للبناء وهدمه لئلا ينتفع بها من بعدهم، وقيل بإجلائهم عنها[٤٦].

ويبدو أنّ التضعيف أفاد معنى التعدية في الفعل وعضّده بشيء من القوّة سواء أكان على مستوى دلالة الفعل نفسه، أم السياق[٤٧].

فالتشديد يوحي بالمكاثرة والمبالغة في دلالة الفعل واتساقه مع صيغة الجمع في **(يخربون)** لتعطي صورة في بيان مدى فظاعة فعلتهم، إذ يكون التخريب ضناً وبخلاً على المسلمين، فعمدوا إلى استخراج ما استحسن من الآلات، ويخربون ظواهرها نكاية توسيعاً[٤٨].

يلحظ تقديم الخبر على المبتدأ أعطى الصورة المطلوبة ولو تغّير مبنى الكلام لذهب الجمال عن الصورة المرادة، فتقديم الخبر (ما نعتهم) صوّر مدى ثقة الكافرين بحصونهم، فالمنع تقدّم على التحصين لتصوير عظم نظرتهم لهذه الحصون، فهي في نظرهم حصون عظيمة[٤٩].

وإسناد الجملة إلى ضميرهم للدلالة على كمال وثوقهم بالحصانة واعتقادهم في أنفسهم أنهم في قوة تامة ولا يستطيع أحد أن يتعرض لهم، ويجوز أن تكون (مانعتهم) خبر لأن حصونهم مرتفعاً على الفاعلية (فأتاهم

الله) أي أمر الله تعالى وقدره المقدور، فأتاهم العذاب والهلاك من حيث لم يظنوا ببالهم، وقذف في قلوبهم الرعب والريبة فكانوا يخرّبون بواطن بيوتهم والمسلمون ظواهرها لما أراد الله من استئصال شأنهم وأن لا تبقى لهم في المدينة دار ولا منهم ديّار(٥٠).

فالأصل الواحد في هذه المادة هو ما يقابل العمران، و يختلف بالموارد والموضوعات، فقد يكون بمعنى التثلّم أو التثقّب أو الاختلال أو الهدم، وأن تلك المعاني أن تصح نسبة العمران إليها، وهذه الخصوصية ملحوظة في جميع استعمالها(٥١).

خرَّ:

الخرّ: هو اضطراب وسقوط مع صوت، فالخرير صوت الماء، يقال للرجل إذا اضطربت بطنه قد تخرّ وخرّ إذا سقط(٥٢). ثم كَثُرَ حتى استعمل في مطلق السقوط(٥٣). فاستعمال الخرّ تنبيه على توافق أمرين هما السقوط مع حصول الصوت(٥٤). فالخرير صوت الماء والريح العقاب، وخرّ البناء إذا سقط، وخرّ هوى من أعلى إلى أسفل(٥٥). وبذلك يكون الخر سقوط محدد الاتجاه من الأعلى مصاحباً للصوت.

استعمل القرآن الكريم الفعل **(خرّ)** في خمسة مواضع(٥٦) في صيغة الماضي، وفي أغلب تلك المواضع كانت الدلالة القرآنية لا تخالف الدلالة المعجمية إلا من خلال الاتساع، فالخرّ هو معنى السقوط المصاحب للصوت، ومن ذلك ما جاء في القول القرآني: ﴿ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ **[الحج/٣١]**.

لم تخرج دلالة الفعل **(خرّ)** من الاستعمال القرآني عن دلالته في التعبير المعجمي الذي يدل على السقوط والانحدار من الأعلى، ولكن دلالة السياق القرآني اتسمت بالاتساع في بيان عملية السقوط من السماء، وإذ أهلك نفسه إهلاكاً ، مادة الفعل **(خرّ)** مشحونة بالدلالة الهدمية التي تحاكي الجانب الحركي وعملية تكراره، ف(الخاء) صوت رخو ضعيف ناسب ابتداء الخرّ، إذ يخرج في بادئ أمره خفيفاً، ثم مناسبته لصوت (الراء) الذي يكون جريانه معه كجريان الماء في خروجه شيئاً فشيئاً.

وهذا تجده مع (الراء)، فالتكرار يوحي في أثناء سقوطه إيحاءً بذلك السقوط المستمر، ولعل مجيء هذا الفعل بدلاً من غيره يكشف عن حالة الاضطراب وعدم الاستقرار التي كان عليها ذلك المشرك. فيلحظ أن التعبير القرآني استعمل مادة الفعل **(خرّ)** الذي طابق مدلوله من خلال الإيحاء الذي كانت مواده مولدة من الصوتين؛ وإنما يستعمل المتكلم أو المرسل كلمات غير تلك الكلمات التي تستعملها من أجل إيصال المعنى المعيّن(٥٧).

فيلحظ أنّ الفعل **(خرّ)** اتصف بصفة حركيّة وهي عملية تكرار الخرور، وذلك عبر القيم الدلالية التي حملتها دلالة اللفظة المركزية و ما تكونت فيها اللفظة من أصوات، فالراء صوت متكرر يحاكي في تكراره

مدى السقوط المتسارع من أعلى السماء وكيفية تتلقاه الطيور، وهكذا في ومضة ترى المشرك ساقطاً من أعالي السماء، وهذا الأمر تصوّر للشرك الذي هو معنى عقلي؛ لأن يكون حسيّاً وتصوير حركته وهو يسقط فلا يقع على الأرض ولا يصعد إلى السماء(٥٨). وهذا فيه بيان للذي يشرك بالله بأن لا مغيث له ولا جذور ولا بقاء دائم يتصف بالاستقرار، فهو في وضع الاضطراب والتلاشي، فيمثل لهذا المعنى بصورة سريعة الخطوات شديدة الحركات، تجلب الرعب والريبة، وفي لحظة يهوى من السماء من حيث لا يدري أحد(٥٩).

وتظهر دلالة الفعل (**خــرّ**) عبر التأمل في الصورة التشبيهية التي تصوّر للشرك بالله وحال المشرك الذي لا ينفك عن شركه بالله ويصر على التمسك به بعد البلاغ لا قرار له ولا استقرار(٦٠).

استعمل القرآن الكريم الفعل (**خرّ**) بصيغة الزمن الماضي، ومن ثم عطف عليه المستقبل الذي هو (فتخطفه) وإنما عدل في ذلك إلى المستقبل لاستحضار صورة خطف الطير إياه وهوي الريح به(٦١). فتمزقه تمزيقاً في حواصلها وعصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطارح(٦٢).

تقدمت جملة (ومن يشرك بالله) على الفعل (**خرّ**) وهي جملة مبتدأه جاءت لتوكيد ما قبلها من الاجتناب عن الإشراك، وإظهار الاسم المقدّس كان لإظهار كمال قبح الإشراك؛ لأنّ الذي خرّ من السماء هو مسقط من أوج الإيمان إلى درك الكفر وحضيضه، فتخطفه الطير أي الأهواء المردية تشتت أفكاره وتسقطه وتقذفه في مكان بعيد إذ الشيطان قد ح به في الضلال(٦٣). فشبه الشرك في بعده وتلاشيه وبطلانه وزواله.

القَصْم:

القصمُ: القاف، والصاد، والميم أصل صحيح يدل على الكسر، قصمت الشيء قصماً: كسرته، والقصم: الرجل يحطم ما لقى(٦٤).

ومن المجاز: قصم الله ظهر الظالم: أي أنزل عليه البلية، ورجل قصمٌ، أي ضعيف سريع الانكسار(٦٥)، وقصمه قصماً، أي كسره بإبانة وظهور(٦٦). والقصم الحطم ويعبّر به عن الهلاك(٦٧).

ورد لفظ (**قصم**) في الاستعمال القرآني ليؤدي دلالة الاستعمال والإزالة، وكان هذا الورود في مواضع عدّة، منها ما جاء في القول القرآني ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ [الأنبياء/١١].

جاءت دلالة القصم في الأمور المحسوسة والمادية، وقد وردت في مقام غضب شديد ومنادية عن سخط عظيم، لأنّ القصم أفظع من الكسر الذي يبين تلاؤم الأجزاء بخلاف القصم.

إذ اتسعت دلالة فعل التهديم في الاستعمال القرآني لتغادر معنى الكسر وتؤدي دلالة الهشم والتحطيم وذلك تعبيراً عن الهلاك[٦٨]، وهذا الملمح التدميري جاء في سياق الآية ليعبر عن ما آلت إليه القرية التي اجتمعت على صفة واحدة وهي الظلم ومن ذلك كان عقاب هذه القرية بالاستئصال الكلي، بدليل قوله تعالى:﴿ وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ ليدل على ان الاستئصال قد حصل من باب الوقوع الحقيقي لا المجازي .

إذ إنّ للصيغة الماضوية في الفعل (قصمنا) ملمحاً دلالياً لحصول وقوع الاستئصال والهشم على القرية وأهلها، والأسلوب القرآني عندما يرد في ذكر هذه القصص، فهي في مقام تذكير الأمم ووعيدها، والصيغة الماضية في هذا المقام لا تترك مجالاً للاستدراك، بل إنها تحمل دلالة القطع في حدوث العذاب ونزوله، وهذا الأمر أكثر تأثيراً وخدمةً للغرض الديني الذي سبقت الآية المباركة من أجله[٦٩].

يلحظ التأنق القرآني في اختيار صوت القاف ليؤدي وظيفة إيحائية للحدث، إذ أنّ القاف يعكس صوته صوت شقّ الشيء وقلعه من موضعه دفعة واحدة، فيرسم صورة المفاجأة التي تحدث صوتاً[٧٠]. إذ يكون استمرار قوة جرس صوت (القاف) في قصمنا في سياق القوة لإهلاك الأمم الظالمة، في حين استعمل خفوت الصوت (الفاء) في الانفصام في قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا ﴾ **[البقرة/٢٥٦]**.

لأن الانفصام انصدام وكسر من غير إبانة، وبعكسه يكون القصم[٧١]. أما صوت (الصاد) فهو صوت شديد مهموس مطبق، ذات قيمة تعبيرية موحية بإيحائها الشديد لدلالة الإهلاك، وهذا ما جاء مناسباً لحدث العقوبة المباشرة التي كُتبت على هذه الأمم كما ذهب إليه بعض المفسرين[٧٢].

اتضح أن الفعل (**قصم**) في الاستعمال القرآني قد خُصصت دلالته فلم يرد إلا بمعنى (هلك) في سياق الحديث عن العذاب الدنيوي للأمم السابقة، وذلك بدليل قوله (كانت ظالمة) أي كافرة، وهي واردة عن غضب شديد وسخط عظيم، وهذا يُعد تطوراً في دلالة الكلمة التي تطورت من الدلالة على معنى الكسر إلى دلالة الهلاك، وبهذه الدلالة القرآنية يُظهر أن هناك شبه ترادف بين الفعلين (هلك) و(قصم)، إلا أن القصم يعبّر به عن الإهلاك الشديد[٧٣].

لدلالة العطف بـ(الواو) مع فعل الاستئصال (**قصم**) يوحي بدلالة المغايرة المباشرة، إذ إنّ الاستئصال والقلع حصل ووقع مباشرة، فقد أنشئ بعدهم قوماً آخرين، وهذا يحاكي حالة التغيير السريع وهي تدل على ثنائية ما بين الهدم والبناء. إذ أنشأ بعدهم قوماً آخرين ليسوا منهم نسباً ولا ديناً، وهذا فيه تنبيه على استئصال الأولين وقطع دابرهم بالكلية وهو ما حمل على تقديم حكاية إنشاء هؤلاء على حكاية مبادئ إهلاك أولئك بقوله تعالى: ((فلما أحسوا بأسنا)) أي أدركوا عذابنا الشديد إدراكاً تاماً كأنه إدراك المشاهد المحسوس[٧٤]. فالآية تشير إلى أن الله قصم القرية التي كانت ظالمة، أي قضى على الحياة الإنسانية فيها بدليل قوله بالإنشاء

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٢ – المجلد ٤٥ – آب لسنة ٢٠٢٠

(وأنشأنا)، فالتحطيم معنوياً قضى على الوجود الإنساني لم يكن على القرية، إذ بقيت قائمة وأنشئ فيها قوماً آخرين(٧٥).

الإهلاك قد حدث بالفعل ولم يترك من آثار تلك القرى شيئاً، والملمح الدلالي للفظة (القصم، هو إبانة الشيء بعضه عن بعض(٧٦). فالقصم أفاد دلالة بارزة في إظهار الكسر الشديد الذي لا يُرجى بعد التئام ولا انتفاع واستعير للاستئصال والإهلاك القوي كإهلاك عاد وثمود وسبأ(٧٧).

فدلالة القصم الهدمية ركزت على الكسر وشدّة أثره الذي يحاكيه الجانب الصوتي في اللفظة، وهو ما يتناسب مع المثل المضروب بالأقوام التي اتصفت بالشدّة في العناد والقوة في التجبّر فكأنهم كيان قائم له أصلٌ وقوام حين يبلغ الذروة في العناد والتجبّر يكون هلاكهم بالقصم الذي ما بعده إصلاح ولا ينفع معه ترميم ليكونوا مثلاً لمن سيلحق بهم.

بسَّ:

البسَّ: هو فتُّ الشيء وخلطه(٧٨). وبُسَّت الجبال: فُتّت كالدقيق والسويق(٧٩). والبسّ: التفتيت مع التحطيم(٨٠).

وردت مادة (**البسّ**) في موضع واحد في الاستعمال القرآني(٨١). وهي لا تغادر الدلالة المركزية لمعنى الفت.

قال تعالى: ﴿ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ۝ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ﴾ [الواقعة/٤-٥].

كانت دلالة الاستعمال القرآني موافقة المعجم لمادة (**البس**) مع الاتصاف بشيء من الاتساع في الدلالة عبر تفريق الأجزاء، وليس يُطلق بمعنى التفتت، وتفريع ((فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا)) على ((وَبُسَّتِ الْجِبَالُ)) مناسباً لمعنى البسّ؛ لأن الجبال إذا سُيّرت فإنما تسير تسييراً يفتتها ويفرقها في حالة من البعثرة والارتطام(٨٢). فدلالة السويق في الجبال أضاءت الجانب الهدمي في ملامح الزوال لطواعية الأمر الإلهي. إذ تصوّر الآية المباركة حال الجبال المتصفة بالثبات والاستقرار. بأنها تكون كالدقيق البسوس الذي استعمله العرب في حياتهم ومعيشتهم، فعرفوا مدى ما يصوره تعبير (**البس**) للجبال من الدقة في التحطم والتحول إلى فتيت ناعم(٨٣). وهذا المعنى يظهر صورة بارزة للبيئة العربية التي اعتادها العرب ورأى بسّ الحيوانات فيكشف الاستجابة الصادرة من الجبال للأمر الإلهي في انقياد وطواعية.

وإيحاء الآية المباركة ترسم في الذهن سماع الأصوات والاضطراب يوم القيامة؛ لأن الطواعية وسرعة الاستجابة لأمر الله تنتج منها سرعة مذهلة في الاضطراب الكوني(٨٤).

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٢ – المجلد ٤٥ – آب لسنة ٢٠٢٠

تخصصت هذه اللفظة (**بُست**) في التعبير القرآني يذكرها مع الجبال، فلم ترد فيه الأمر واحدة، متعلقة بها، ((وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا))، إذ أن أمر التفتت والاضطراب وصل حد النسف، فالجبال تنسف ومع تفتتها تسير سير الأفاعي بانسياب وكأنها تساق سوقاً[٨٥]. فاللفظ يحاكي حالة البعثرة والهيجان التي وقعت على تلك الجبال ، فتكون في لحظة كالدقيق المبعثر، وهذا والانتشار أوحت إليه أصوات اللفظة والتناسق الصوتي. فصوت (الباء) الانفجاري يوحي بقوة الهدّ والزعزعة، في حين جاء صوت (السين) ليكشف حالة الانسياب والطواعية إذ يتصف بالهمس. فالجبال خاضعة للأمر الالهي منقادة للتغيير الكوني من دون عارض أو استبدال .

صُنّفت هذه اللفظ ضمت الحقل الدلالي الحركي الدال على الهدم، إذ توحي بشدّة الهدم للجبال وقوته، لأن الجبال التي تتصف بالسكون والاستقرار، قد نُسفتْ وبعثرت وتحولت إلى غبار متناثر، وهذا يظهر ملمح الشدّة في الحدث الكوني والاستجابة للأمر الهدمي، إذ حرّكت تحريكاً شديداً بحيث ينهدم ما فوقها من بناء جبل أو غيرها[٨٦].

تبّرَ:

الإهلاك والاستئصال والإبادة والتكسير. تبره الله وتبّره، أي أهلكه وأباده وجرى الاستئصال عليه[٨٧]. **والتتبير**: التدمير[٨٨]، ومن هذا المعنى أخذ التبّر، وهو كسارة الذهب وفتاته، لتهالك الناس عليه[٨٩].

استعمل النص القرآني مادة (**التبر**) بدلالة هدميّة، إذ قال تعالى حكاية عن الأقوام الكافرة، وما آلت إليه: ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ۝ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴾ **[الفرقان/٣٨-٣٩].**

تظهر القيمة الدلالية للفظة (**تبّر**) في السياق القرآني إذ إنها ترتكز على الظلال الإيحائية التي يتسع بها التكوين الصوتي للفظة، وهو القائم على تضعيف عين الفعل (تبّر)، وتكرار صوت (التاء) في المصدر (**تتبيراً**). ولما كان كل صوت من أصوات الكلمة يعبّر عن غرض معين، ويؤدي معنى خاصاً يستقل به عن غيره من الأصوات، إذ أن الإبداع الفني الدقيق في النظم الصوتي يضفي على اللفظ إيحاءات دلاليّة تتناسب والأحداث المعبّرة عنها. وتوحي بها إيحاء صفاتها[٩٠].

ويُلحظ في لفظ التتبير في هذا الموضع القرآني أن قيمتها الدلالية تنسجم وتتسق مع دلالتها المعجمية على معاني التكسير والتفتيت والتهشيم، زيادة على ذلك أن ظاهرة التضعيف اللغوية وتكرير أصوات معينة تسهم بشكل فاعل في تقوية ذلك الانسجام وتقريره. و من ثم أن تكرير مادة التبر بصيغتها المصدرية تدل على الإطلاق والاتساع والشمول.

البارز في تعزيز العملية الإيحائية لمحاكاة الحدث، إذ أنّ التكرار في النص القرآني سواء كان باللفظ أم بالمعنى فإنه سمة من السمات الفنية، إذ أنها أداة تضفي ملمحاً جمالياً، وأداءً تعبيرياً عالياً[٩١]، تبدأ من الدلالة الوصفية للمادة لتمنحها قدرة وقابلية على الإيصال والإبلاغ، ومن ثم إظهار المعنى المقصود وتجسيده.

مادة (**التتبير**) الواردة في السياق القرآني جديرة بتجسيد معاني الهدم والهشم والتكسير والتعبير عنها أبلغ من غيرها من الألفاظ، وهذا التفاضل جاء عبر أسس معينة فنص الصيغة الماضية التي أظهرت عملية الحصول المطبق التام، لذلك تضعيف عين الفعل المتمثل بصوت (الياء) وما يقوم به ذلك التضعيف من تعزيز الدلالة الهدمية وإبراز حجم ذلك الدمار، زيادة على ذلك التكرار اللفظي المتمثل بالمفعول المطلق (تتبيراً) بدلالته الاسمية والتي تدل على معاني الثبوت الملازمة، فيلحظ أن جميع تلك الأسس أسهمت بشكل رئيس في بناء وحدة عضوية متكاملة لإبراز حادثة التهشيم التام والهدم الذي قضى على كل شيء.

هوامش البحث

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس: ٤١/٦ (هدم).
(٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الإصفهاني: ٨٣٥ (هدم).
(٣) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي:٣٤/٧٥-٧٦ (هدم)
(٤) ينظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم، حسن المصطفوي:١١|٢٦٦،
(٥) ينظر: تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور: ١٧/٢٧٦-٢٧٧.
(٦) ينظر: صيغة فعّل في القرآن الكريم، أحلام ماهر محمد حميد: ٣٥٣.
(٧) ينظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم١١|٢٦٩ .
(٨) ينظر: التصوير الفني في القرآن الكريم، سيد قطب: ٢٥١.
(٩) ينظر: تفسير التحرير والتنوير: ١٧/٢٧٧.
(١٠) ينظر: الإعجاز البلاغي في استخدام الفعل المبني للمجهول، عبد الدائم الكحلي: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: ٣٢١-٣٢٢.
(١١) ينظر: تجليات التعبير اللغوي في النص القرآني، فاخر هاشم الياسري: ١٤٥.
(١٢) ينظر: تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان: نظام الدين الحسين بن محمد القمي النيسابوري: ٨٣-٨٤.
(١٣) ينظر: تفسير الكشاف، جار الله الزمخشري
(١٤) ينظر: بنائية الصورة القرآنية، عمار عبد الأمير راضي السلامي: ٦٠.
(١٥) ينظر: تجليات الدلالة الإيحائية في الخطاب القرآني: الدكتورة فخرية غريب قادر: ٢٣٣.
(١٦) ينظر: تفسير فتح القدير بين فني الرواية والدراية في علم التفسير: محمد بن علي بن محمد الشوكاتي: ٣/٦٢٢-٦٢٣.
(١٧) ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس: ٣/٣٠٠، تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري: ٢/٦٥٨(دمر).
(١٨) ينظر: لسان العرب، ابن منظور: ١٤٢٠ (دمّر)، أساس البلاغة، الزمخشري: ٢٨٢ (دمّر).
(١٩) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي: ١١/٣٠٩-٣١٠،(دمر).
(٢٠) ينظر: الجوهر الثمين في تفسير الكتاب المبين، السيد عبد الله شبر: ٤/١١.

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٢ – المجلد ٤٥ – آب لسنة ٢٠٢٠

(٢١) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور: ٥٣/١٥-٥٤.
(٢٢) ينظر: معجم إعجاز المترادفات القرآنية، أحمد مختار عمر: ٤٣.
(٢٣) ينظر: البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ١٨/٦.
(٢٤) ينظر: التحرير والتنوير: ٥٥/١٥
(٢٥) ينظر: زاد المسير في علم التفسير:١٩/٥.
(٢٦) ينظر: التفسير الوسيط : ٧٤/٢٦
(٢٧) ينظر: معجم الفروق الدلالية، محمد محمد داود: ٢٥٦.
(٢٨) ينظر: الخطاب النفسي في القرآن الكريم، كريم حسين ناصح الخالدي: ٦٢٥.
(٢٩) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي: ١٢٥.
(٣٠) ينظر: التحقيق في كلمات القرآن، حسن المصطفوي: ٢٦٥/٣.
(٣١) ينظر: من هدى القرآن للسيد محمد المدرسي: ٤٢٦/٤.
(٣٢) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس: ١٥٠/٢٧-١٥١ (دكك)، تاج اللغة وصحاح العربية: ١٥٨٣/٤(دكك).
(٣٣) ينظر: المفردات في غريب القرآن: ٣١٦(دكك).
(٣٤) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس/ ٣٥٨-٣٥٩ (دك).
(٣٥) ينظر: لسان العرب: ١٤٠٤-١٤٠٥ (دك).
(٣٦) ينظر: عمدة الحفاظ في تفسير اشرف الألفاظ: ١٩/٢، الفاظ الطبيعة في القرآن الكريم: ٣٠.
(٣٧) ينظر: الكشاف: ١٩٧/٦، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ١٣٦٢. تفسير أبي السعود،: ٢٣/٩.
(٣٨) ينظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ٢٥٢٠/١٩.
(٣٩) ينظر: الدلالة والحركة، محمد محمد داود: ١٩٦.
(٤٠) ينظر: أفعال الحركة الوضعية اللغوية في القرآن الكريم: ١٢٤- ١٢٥.
(٤١) ينظر: لسان العرب: ١١٢ (خرب)، أساس البلاغة: ١٨٠-١٨١ (خرب).
(٤٢) ينظر: مقاييس اللغة: ١٧٤/٢(خرب)
(٤٣) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس: ٣٣٩/٢-٣٤٠ (خرب).
(٤٤) ينظر: الكشاف: ٧٤/٦-٧٥.
(٤٥) ينظر: الكشاف: ٧٤/٦.
(٤٦) ينظر: عمدة الحفاظ في تفسير اشرف الألفاظ: ١/
(٤٧) ينظر: فصول في علم الدلالة.
(٤٨) ينظر: كنز الدقائق وبحر الغرائب: ١٧١/١٣-١٧٢.
(٤٩) ينظر: التقديم والتأخير في القرآن الكريم: ٢٥٣.
(٥٠) ينظر: تفسير أبي السعود: ٢٢٦/٨، مدارك والتنزيل وحقائق التأويل: ١٢١٠
(٥١) ينظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ٣٩/٣.
(٥٢) ينظر: مقاييس اللغة: ١٤٩/٢(خرر).
(٥٣) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس: ١٥٠/١١ (خر).
(٥٤) ينظر: المفردات في غريب القرآن: ٢٧٧(خرر).

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية العدد ٢- المجلد ٤٥ - آب لسنة ٢٠٢٠

(٥٥) ينظر: أساس البلاغة، الزمخشري: ١٨٢(خرر).
(٥٦) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ٢٣٧.
(٥٧) ينظر:المحاكاة الصوتية في القرآن الكريم، عمار نعمة نغيمش، مجلة آداب، ذي قار: ٧.
(٥٨) ينظر: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة، العلوي : ١٣٠
(٥٩) ينظر: التصوير الفني في القرآن، سيد قطب: ١٣٣.
(٦٠) ينظر: أساليب الخطاب في القرآن الكريم، د.احمد حاجم الربيعي: ٣٥٣
(٦١) ينظر: بنائية الصورة القرآنية: ٢٩٢-٢٩٣.
(٦٢) ينظر: الكشاف: ١٩٢/٣: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٧٩٧.
(٦٣) ينظر: تفسير أبي السعود : ١٠٥/٦-١٠٦.
(٦٤) ينظر: مقاييس اللغة: ٩٣/٥ (قصم).
(٦٥) ينظر: أساس البلاغة: ٦١١ (قصم).
(٦٦) ينظر: تاج العروس: ٢٨٠/٣٣ (قصم).
(٦٧) ينظر: عمدة الحفاظ: ٣١٤/٣.
(٦٨) ينظر: الكشاف: ١٣١/٤.
(٦٩) ينظر: أفعال الحركة للصيغة في التعبير القرآني، عبد الحي عبد النبي : ١٤٨.
(٧٠) ينظر: فاعلية الإيحاء الصوتي في القرآن الكريم- دلالات التشكيل: أشواق النجار: ١١٦.
(٧١) ينظر: دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني، محمد ياس الدوري : ٨٠.
(٧٢) ينظر: الكشاف: ١٨٠/٣، مجمع البيان، الطبرسي: ٦٠/٧.
(٧٣) ينظر: البحر المحيط،:٢٧٨/٦، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٧٦٧.
(٧٤) ينظر: تفسير أبي السعود: ٥٨/٦.
(٧٥) ينظر: الدلالة والمجتمع، هلاك القرى وازدهار المدن، محمد شحرور: ١١٠.
(٧٦) ينظر: معجم الفروق الدلالية، محمد محمد داود : ٣٥٩ (حرف الفاء).
(٧٧) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٤/١٧-٢٥
(٧٨) ينظر: مقاييس اللغة: /١٨١ (بس)
(٧٩) ينظر: أساس البلاغة: ٤٣ (بس)
(٨٠) ينظر: عمدة الحفاظ في تفسير اشرف الألفاظ: ١٨٨/١ (باب الباء).
(٨١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن: ١٣٠.
(٨٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٨٤/٢٧
(٨٣) ينظر: التعابير القرآنية والبيئة العربية، ابتسام الصفّار: ٧١-٧٢
(٨٤) ينظر: المصدر السابق: ٧٥
(٨٥) ينظر: ألفاظ الطبيعة في القرآن الكريم، خول عبيد الدليمي: ٦٠-٦٢.
(٨٦) ينظر: الكشاف: ٣٣/٦، كنز الدقائق وبحر الرغائب: ١١/١٣-١٢، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ١٢٨٤، تفسير أبي السعود: ١٨٨/٨.
(٨٧) ينظر: مجاز القرآن، معمر بن المثنى: ٧٥/٢، أساس البلاغة: ٥٩ (تبر).

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية العدد ٢ - المجلد ٤٥ - آب لسنة ٢٠٢٠

(٨٨) ينظر: صفو التفاسير: ٣٥٩/٢.
(٨٩) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٩٤/٤-٩٥.
(٩٠) ينظر: الإيحاء الصوتي في النص القرآني: ١١
(٩١) ينظر: الإيقاع: أنماطه ودلالاته في لغة القرآن الكريم؛ عبد الواحد زيارة: ٦١- ٦٢.

المصادر و المراجع

القران الكريم

١-إرشاد العقل السليم الى مزايا القران الكريم، ابي السعود محمد بن محمد العمادي، دار احياء التراث العربي ، بيروت –لبنان
٢-اساس البلاغة ، جار الله ابي القاسم محمود بن عمر الزمخشري(ت٥٣٨)،تحقيق: محمد باسل عيون السَواد ،ط ١،دار الكتب العلمية ،بيروت –لبنان،١٩٩٣م
٣-أفعال الحركة للطبيعة في التعبير القرآني ،عبدالحي عبد النبي ،الرافد للمطبوعات، بغداد، ٢٠١٨.
٤-ألفاظ الطبيعة في القران الكريم دراسة لغوية مع معجم لألفاظ الطبيعة الجامدة في القران الكريم ،د. خولة عبيد الدليمي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط ١، ٢٠٠٨م
٥- الطبيعة في القران الكريم ، كاصد ياسر الزيدي
٦-البحر المحيط ،محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الاندلسي (ت ٧٤٥ه)، تحقيق: الشيخ عادل احمد عبد الموجود و اخرون ،ط ١، دار الكتب العلمية ،بيروت –لبنان،١٩٩٣م
٧-تاج العروس من جواهر القاموس ،محمد مرتضى الزبيدي ،تحقيق: علي هلالي ،ط٢،مطبعة الكويت ،١٩٨٧م
٨-تجليات التعبير اللغوي في النص القرآني ، د. فاخر هاشم الياسري ،ط١، ٢٠١٨م
٩-تجليات الدلالة الايحائية في الخطاب القرآني في ضوء اللسانيات المعاصرة ،سورة التوبة انموذجاً، د. فخرية غريب قادر ، عالم الكتب العلمية
١٠-التحرير و التنوير ، محمد الطاهر بن عاشور اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي(ت٧٧٤ه)،ط١و الدار التونسية ، تونس ١٩٨٤م.
١١-التحقيق في كلمات القران الكريم ،المحقق المفسر حسن المصطفوي ،ط١،طهران،١٣٩٣ه.
١٢-التعابير القرآنية و البيئة العربية في مشاهد القيامة ، ابتسام مرهون الصفار ، مطبعة الادب ، النجف الاشرف ،ط١، ١٩٦٧م.
١٣-الجوهر الثمين في تفسير الكتاب المبين ، السيد عبدالله شبر ،تعليق: اسامة الساعدي ، الناشر :ذوي القربى، ط١ ،
١٤-الخطاب النفسي في القران الكريم ، كريم حسين ناصح الخالدي .
١٥-الدلالة و الحركة دراسة لأفعال الحركة في العربية المعاصرة في اطار المناهج الحديثة ، محمد محمد داود ، دار غريب –القاهرة
١٦-الدولة و المجتمع ، هلاك القرى و ازدهار المدن ،محمد شحرور ،دار الساقي ، بيروت –لبنان،ط١، ١٩٩٩م.
١٧-زاد المسير في علم التفسير ، الامام ابي الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي(ت٥٩٧ه)،المكتب الاسلامي.
١٨- الصحاح المسمى (تاج اللغة و صحاح العربية)،ابو نصر اسماعيل بن حمّاد الجوهري(ت٣٩٣ه)، تحقيق: احمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين ، بيروت –لبنان،ط١، ١٩٩٠م.
١٩-صيغة فعّل في القران الكريم (دراسة صرفية دلالية)، احلام ماهر محمد حميد، دار الكتب العلمية _بيروت ،ط١، ٢٠٠٨.

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية العدد ٢ – المجلد ٤٥ – آب لسنة ٢٠٢٠

٢٠-الطراز المتضمن لأسرار البلاغة و علوم حقائق الاعجاز ، السيد يحيى بن حمة بن علي العلوي اليمني ، دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان، ط١ ، ١٩٩٥م
٢١-عمدة الحفاظ في تفسير اشرف الالفاظ ، الشيخ احمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي ،تحقيق: محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت -لبنان ، ط١ ،١٩٩٦م
٢٢-غرائب القران و رغائب الفرقان ، نظام الدين الحسين بن محمد القمّي النيسابوري ، دار الكتب العلمية ، بيروت -لبنان ،ط١ ،١٩٩٦م.
٢٣-فاعلية الايحاء الصوتي في القران الكريم دلاّت التشكل ، د. اشواق محمد النجار ، عالم الكتب الحديثة ، اربد ، ط١ ،٢٠١٨م.
٢٤-فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير ، محمد بن علي محمد الشوكاني ،تحقيق :د. عبدالرحمن عميرة ، دار الوفاء ، ١٩٩٤م.
٢٥-فصول في علم اللغة ،د. فريد عوض حيدر ، مكتبة الادب ، القاهرة ، ط٣، ٢٠١١م.
٢٦-القاموس المحيط ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيرزابادي، دار احياء التراث العربي ، بيروت -لبنان، ط٢، ٢٠٠٣م.
٢٧-الكشاف ، جار الله ابو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، تحقيق :عادل احمد عبد الموجود و اخرون ،ط١، مكتبة العبيكان -الرياض ، ١٩٩٨م.
٢٨-كنز الدقائق و بحر الرغائب ، الشيخ محمد بن محمد رضا القمّي المشهدي ، تحقيق :حسن دركاهي ،وزارة الثقافة و الارشاد الاسلامي ، طهران ،ط١ ،١٩٩٠م.
٢٩-مجاز القران ، ابو عبيدة معمر بن المثنى ، مكتبة مشكاة .
٣٠-مدارك التنزيل و حقائق التأويل ، ابي البركات عبدالله بن احمد بن محمود النسفي ، تحقيق : يوسف علي بديوي ، و محي الدين ، دار الكلم الطيب ، بيروت -لبنان.
٣١-المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، ط٤ ، مكتبة الشروق الدولية – مصر ، ٢٠٠٤م.
٣٢-معجم الفروق الدلالية في القران الكريم ، د. محمد محمد داود ، دار غريب -القاهرة .
٣٣-معجم مقاييس اللغة ، ابو الحسين احمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق :عبدالسلام هارون ، دار الفكر – مصر ، ١٩٧٩م.
٣٤-من جماليات التصوير في القران الكريم ، محمد قطب عبد العال ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ط٢ ، ٢٠٠٦م.
٣٥-من هدى القران ، السيد محمد تقي المدرسي ، دار القارئ، ط٢ ،٢٠٠٨ م .
٣٦-المفردات في غريب القران ، الراغب الاصفهاني ، تحقيق :محمد خليل عيتاني ، دار المعرفة ، بيروت -لبنان ، ط٥ ، ٢٠٠٧ م.
٣٧-المعجم المفهرس لألفاظ القران الكريم ، محمد فؤاد عبدالباقي ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت -لبنان ، ط١ ، ١٩٩٩ م.
٣٨-لسان العرب ، ابن منظور الانصاري ، دار صادر ، بيروت -لبنان .

الرسائل و الأطاريح

١-دقائق الفروق اللغوية في البيان القراني ،محمد ياس خضير ،اطروحة دكتوراه،٢٠٠٥م.